

الشاب بين الثقة بالنفس والغرور



مفهومين يجب التفريق بين مفهومين: (الثقة بالنفس) و(الغرور). فالثقة بالنفس، أو ما يسمّى أحياناً بالإعتداد بالنفس تتأتّى من عوامل عدة، أهمّها: تكرار النجاح، والقدرة على تجاوز الصعوبات والمواقف المحرجة، والحكمة في التعامل، وتوطين النفس على تقبّل النتائج مهما كانت، وهذا شيء إيجابي. أمّا الغرور فشعور بالعظمة وتوهّم الكمال، أي أن الفرق بين الثقة بالنفس وبين الغرور، هو أن الأولى تقدير للإمكانات المتوافرة، أمّا الغرور ففقدان أو إساءة لهذا التقدير. بمعنى إعطائه من الحجم والقيمة أكبر من استحقاقه. وقد تزداد الثقة بالنفس للدرجة التي يرى صاحبها - في نفسه - القدرة على كل شيء. فتقلب إلى غرور وانتفاخ وتكبّر. ولنأخذ مثلاً آخر، فالفتاة الجميلة التي تقف قبالة المرأة وتلقي على شعرها ووجهها وجسدها نظرات الإعجاب البالغ والإفتان بحاسنها، ترى أنّها لا يعوزها شيء وأنها الأجل بين بنات جنسها، وهذا الرضا عن النفس أو الشكّل دليل الفتنة التي تشغل تلك الفتاة عن التفكير بالكمالات أو الفضائل التي يجب أن تتحلّى بها لتوازن بين جمال الشكّل وجمال الروح. ولذا قيل: "الراضي عن نفسه مَفْتُون"، كما قيل أيضاً: "الإعجاب يمنع من الإزداد". وقد يكون لدى الرّاضي الحائز على البطولة بعض الحقّ في الشّعور بالرّضا، لأنّ وسام أو كأس الاستحقاق الذي حصل عليه جاء نتيجة جهود ذاتية مضمّنة بذلها من أجل الفوز بهذه المرتبة المتقدّمة، أمّا شعور الرّضا أو الإعجاب عند الجميلة التي لم تبذل من أجل جمالها جهداً، فشعور ناتج عن تقدير اجتماعي

للجمال أو الشَّكل الخارجي، أي أنَّ الناس اعتادوا على تقديم الجميلة على الأقلَّ جمالاً،
وإلا فالجمال ليس قيمة إنسانية ثابتة. فالجمال - كمظهرٍ خارجيٍّ - ليس قيمة إنسانية
ثابتة، ذلك أنَّ صاحبة العيون الواسعة لا يصحُّ لها أن تتباهى على صاحبات العيون الأصغر،
فهذه وتلك عطايا الله ولا دخل لسعة العينِ وضيقها باختيارهنَّ، كما لا علاقة لذلك بانحياز
الله ومحاباته لإحداهنَّ على الأخرى. إنَّ شعورنا بالرضا عن إنجازاتنا وتفوقنا مبررٌ إلى
حدِّ ما، لكن شعورنا بالإنفتاح فلا مبرر له، هو أشبه بالهواء الذي يدور داخل بالون، أو
بالورم الذي قد يحسه البعض سمنة العافية وما هو بالعافية، وفي ذلك يقول الشاعر:
أُعِيذُهَا نِظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ *** أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ